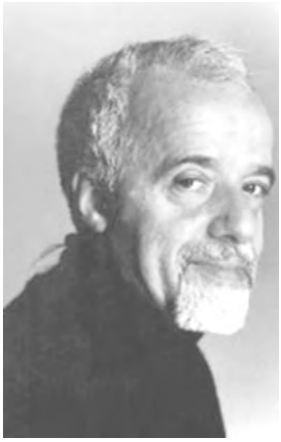

"عندما يدرك الرجل قيمته الحقيقية

تبدأ عظمته في الظهور"

- إيتش ج ويلز -

باولو كويلو (١٩٤٧-....):

"(المجنون) الذي ألهم الملايين"

مولده ونشأته:

في ٢٤ أغسطس ١٩٤٧ وُلد باولو كويلو لعائلة متوسطة في ريودي جانيرو بالبرازيل، مكونة من مهندس وزوجته ربة المنزل.

دخل هذا الطفل مدرسة الجيزويت في ريو، وكان يشترك في كل مسابقات الشعر والأدب التي تقيمها المدرسة، ويكسب الجائزة دائمًا، ولكنه لم يكن راضيًا دائمًا عن عمله ولا عن مستواه، وأحيانًا كانت أعماله تنتهي في سلة المهملات، وذات مرة أخذت أخته أحد هذه الأعمال الملقاة في القمامة وقدمتها لمسابقة المدرسة باسمها، وحصلت على الجائزة الكبرى.

منذ هذا الزمان عرف طفل الأسرة المتوسطة مهنته الحقيقية. كان يريد أن يصير كاتبا، ولكن والديْه كان لهما رأي آخر، كانا يريدان له أن يصير مهندسًا، وأرادا أن يخنقا رغبته في أن يكرس حياته للأدب..!! أدى هذا إلى إثارة روح التمرد عند باولو، وبدأ في خرق القواعد المرعية في العائلة، وقد رأى أبوه في هذا السلوك علامة من علامات الجنون والمرض العقلي، وعندما بلغ باولو

السابعة عشرة من عمره، كان أبوه قد أودعه المصحة العقلية مرتين!! هناك تعرض باولو لعدة جلسات من العلاج بالصدمة الكهربية.

بعد هذه المرحلة التحق باولو الشاب بمجموعة مسرحية، وبدأ في العمل كصحفي، رأى أبواه الكاثوليكيان في هذا أمرًا شائنًا؛ فالمسرح في نظر الطبقة المتوسطة في ذلك الوقت كان بؤرة الفساد والانحلال.

ومن ثم أصر أبواه المرعوبان على إدخاله المصحة أكثر من مرة -ربما ثلاثة- ضاربين عرض الحائط بكل وعودهما له. وعندما خرج باولو كان ضياعه أشد. وفي محاولة يائسة أخذته الأسرة لطبيب نفسي جديد قال لهم: "باولو ليس مجنونًا، ويجب عدم إدخاله مصحة، وعليه ببساطة أن يتعلم كيف يواجه الحياة".

عالم جديد:

ثلاثون عامًا مرت بعد هذه الحقبة من حياته كتب كويلو "فيرونيكا تقرر أن تموت"، وظهرت الرواية في البرازيل عام ١٩٩٨، وفي يناير ١٩٩٩ قرأ السيناتور إدواردو سوبليسي مقتطفات من هذه الرواية في جلسة من جلسات البرلمان البرازيلي، ونجح في الحصول على موافقة الأعضاء على قانون كان يلف أروقة المجلس منذ عشر سنوات - حيث يقضي هذا القانون بمنع الحجز التعسفي للبشر في المصحات.

بعد مدة التمرد هذه في منتصف الستينيات عاد باولو الشاب لدراسته، وبدا أنه قد بدأ في "اتباع الطريق المستقيم" الذي يريده أبواه له، ولكن بعد مدة ليست طويلة ترك الدراسة مرة أخرى وعاد للمسرح، وكان هذا زمن حركة التمرد الشبابي العالمية المعروفة بحركة الهيبز، وقد تأثرت البرازيل بهذه الموجة العارمة.

كانت البرازيل في هذا الوقت ترزح تحت وطأة حكم عسكري فاشي خانق. ربَّى باولو شعره، وأقسم ألا يحمل هوية، وأخذ في تعاطي المخدرات، كان يريد أن

يحيا تجربة الهيبز كاملة، كما بدأ أيضًا في إصدار مجلة صدر منها عددان، ثم دعاه الموسيقي والمؤلف راوؤل سيشاس ليكتب كلمات أغنياته، ومن ثم بدأت شراكة استمرت حتى عام ١٩٧٦، وقد حقق (ألبومهما) الثاني نجاحًا ساحقًا وكتب باولو أكثر من ستين أغنية مع سيشاس، ومعًا غيرا وجه موسيقى "الروك" البرازيلية، وفي ١٩٧٣ اشترك الاثنان في تأسيس "الجمعية البديلة" "Alternative Society" وهي منظمة تعارض الأيديولوجية الرأسمالية، وتدافع عن حقوق الفرد في فعل ما يريده أو ما تريده وأيضًا تمارس السحر الأسود.

بعدها تعاون باولو وسيشاس معًا لإصدار مجلة (كرينج ها) (Kring-ha) وهي مجلة مصورة على غرار سوبرمان وميكي وغيرهما من المجلات الكارتونية، وكانت المجلة تدعو لمزيد من الحريات. عندئذ قامت السلطات بمصادرة المجلة واعتقالهما. ولكن سرعان ما أطلقوا سراح راوؤل، لكن باولو استمر في السجن مدة أطول، حيث كانوا يظنون أنه الرأس المدبر وراء المجلة الساخرة، واستمر في المعتقل عدة أيام، ويعتقد باولو أنه قد أفلت بعمره فقط، عندما أخبرهم أنه مجنون، وأنه قد دخل المصحة العقلية عدة مرات. وبعدئذ أطلقوا سراحه.

الحياة حينما تبتسم:

عندما بلغ باولو السادسة والعشرين من عمره، أقر بأنه قد خاض تجارب كثيرة في الحياة، وأنه يريد أن يصير "سويًا". فحصل على وظيفة في شركة تسجيلات اسمها "بوليجرام" حيث التقى المرأة التي صارت زوجته فيما بعد.

في ١٩٧٧ ارتحل باولو وزوجته إلى لندن، حيث اشترى آلة كاتبة، وبدأ في الكتابة دون نجاح يذكر، ولكنه في العام التالي عاد للبرازيل، حيث عمل مديراً لشركة تسجيلات أخرى هي CBS، واستمر هذا لمدة ٣ أشهر فقط بعدئذ انفصل عن زوجته، وترك العمل. وبعد سنتين التقى صديقة قديمة هي كريستيا أوبتشيكا التي تزوجها فيما بعد، واستمر معها إلى الآن.

في ١٩٨٦ أكمل كويلو رحلة الحج إلى ساينتاجو دي كومبو ستيلا في شمال أسبانيا بدءًا من فرنسا، وهي رحلة الحج المسيحية التي بدأت في القرون الوسطى لزيارة الكاتدرائية الكبيرة في شمال أسبانيا.. تلك الرحلة التي أتمها كويلو بعد مشورة مع صديقه "ج" الذي يسميه "الأستاذ" وكتب عنه في "يوميات محارب النور" كتابه الذي صدر في منتصف التسعينيات. إلاّ أن مؤلَفه الأول هو «حاج كومبوستيلا» التي أصدره عام ١٩٨٧ والذي تحدث فيه عن تجربته في سلك طريق مار يعقوب، المزار الأسباني القديم.

وفي ١٩٨٧ كتب كويلو أول كتبه "الحج"، وكان عنوانه الجانبي "يوميات ساحر" يحكي الكتاب تجربة باولو أثناء رحلة الحج واكتشافه أن المدهش والخارق للعادة يحدث يوميًا في حياة البشر العاديين.

في ١٩٨٨ كتب رواية أخرى مختلفةً تمامًا وهي "الخيميائي"، حيث أخذ يحكي جزءًا من تجاربه في الأحد عشر عامًا التي قضاها في دراسة الخيمياء.حيث صنفت هذه الرواية ضمن أكثر الكتب مبيعا في العالم، وبلغ رقم مبيعاتها ٢٧مليون نسخة، وترجمت إلى أكثر من ٥٦ لغة، ووزعت في ١٥٠ دولة.وهي الرواية التي جعلت منه ثاني أكثر المؤلفين بيعاً، حسب ما أوردته مجلة (اقرأ) الفرنسية.

حلم "المجنون" يتحقق:

جاءت التسعينيات لباولو محملة بالنجاح والشهرة والنجومية. بلغ عدد عشاق أدبه الملايين من كل أنحاء المعمورة، ومن بينهم نجوم في مجالات مختلفة وذوو ذوق مختلف وكلهم يعشقون أدبه ويمجدون كتاباته، ومنهم مادونا وجوليا روبرتس وأمبرتو إكو الفيلسوف.

بعد ذلك أصدر عدة روايات اقتربت من نجاح "الخيميائي" وهي:"بريدا" و"على ضفاف نهر بييدرو جلست وبكيت" و"الجبل الخامس" و"يوميات محارب النور" و"فيرونيكا تقرر أن تموت".

وقام باولو بعمل عدة رحلات زار فيها العديد من بلدان آسيا وأوروبا والأمريكتين. في مايو ٢٠٠٠ كان أول كاتب غير مسلم يقوم بزيارة رسمية للجمهورية الإسلامية في إيران منذ الثورة عام ١٩٧٩م.

وقال عن هذه الزيارة: "لقد تلقيت حبًّا وحفاوة شديدين، لكن الأهم أني وجدت فهمًا لأعمالي أذهلني وهزني من الأعماق. لقد وصلت روحي قبل وصول ذاتي، كانت كتبي حاضرة ووجدت أصدقاء قدامى لم أقابلهم من قبل. إنها تجربة عميقة، ولقد ملأت روحي بالحب والحياة. أحسست أن الحوار ممكن مع كل البشر في كل أرجاء البسيطة، هذا ما رأيته في إيران".

في سبتمبر ٢٠٠٠ ظهر إلى الوجود العلني معهد باولو كويلو بعد تأسيسه عام ١٩٩٦، ويوفر المعهد الدعم المادي للفقراء في البرازيل ويرعاهم وخاصة الأطفال والعجزة.

ولقدراته الفائقة في التعبير عن الرسالة الإنسانية، ولأسلوبه الذي يولد لدينا القدرة على الحلم، ويستحثنا على البحث عبر وحدة الهدف، ومن خلال حضارات متنوعة حصل كويلو على جوائز عديدة مرموقة، من بينها: "فارس الفنون والآداب" من فرنسا، وعين مستشارًا فوق العادة لبرنامج اليونسكو المسمى "التفاعل الروحي والحوار بين الحضارات". وحصل على جائزة BAMBI 2001، وهي أقدم وأهم جائزة أدبية في ألمانيا. وفي يوليو ٢٠٠٢ انتخب كويلو ليحتل المقعد رقم ٢١ في الأكاديمية البرازيلية للآداب، حيث ألقى خطابًا مدح فيه الحلم والإيمان، وختمه قائلاً: "إن حصولي على هذا الشرف كان حلمًا آخر لم

أرد أن أتخلى عنه". كما نال - أيضاً - العديد من الأوسمة وجوائز التقدير من فرنسا وإيطاليا وإيرلندا والبرازيل وبولونيا.

وكويلو شديد الإعجاب بالثقافة العربية ومدلولاتها، وهذا له أثر واضح في العديد من رواياته. يقول باولو كويلو متحدثاً عن الثقافة العربية:

"منحتني نظرة أخرى إلى الحياة، مزيداً من الانفتاح. ربما لأنها ثقافة قريبة من الصحراء، فهي تساعد على تبسيط الأمور من دون الوقوع في فخّ التسطيح، ومنذ بدأ احتكاكي بالثقافة العربية، أخذ الإلهام يأتيني بسهولة، فالثقافة العربية تقيم اعتباراً كبيراً للأمور الخفية، ولما هو غامض وسرّي. وبصفتي كاتباً أحتاج إلى مثل هذه الرؤية المخالفة، إلى مثل هذا الفضاء".

تمتاز روايات كويلو بسهولة لغتها وسلاسة أسلوبها، بعيداً عن التعقيد والتكلف. ويقول كويلو في ذلك: "أستطيع أن أؤلف كتابا معقدا جديدا كل أسبوع، لكني أؤثر بدلا من ذلك، أن أؤلف كتابا بسيطا ومباشرا كل عامين، كتاباً بلا زخرفات أدبية ويخترق قلوب الناس، لأن المعقد لن يفهمه أحد، إلا أن الأغبياء سوف يتملكهم الانطباع بأنه عمل عبقري، لأنهم -تحديداً- عاجزون عن فهمه، وراء كل تعقيد فراغ مرعب، قد يبدو أسلوبي سطحيا لأني أتقشف في لغتي إلى أقصى الحدود".

- كويلو أمام رواياته المترجمة إلى اللغة الصينية -